تحويل الإحتلال الإستعماري إلى حرب دينية، استغلال الدين لتحقيق مكاسب سياسية: الحكومة الاسرائيلية وإدارة ترامب نموذجاً

يؤكد إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية غير القانوني بالقدس عاصمة لاسرائيل على الدور البارز الذي تلعبه الجماعات الدينية الأصولية في صياغة السياسة الأمريكية الحالية وتأثيرها على عملية صنع القرار الأمريكي. إن قرار الاعتراف بالقدس الذي إتخذته الإدارة الأمريكية الحالية والتي تزعم بأنه «يساهم في دفع عملية السلام قدماً»، يشكل إنتهاكاً لإلتزاماتها بموجب القانون الدولي، ويتعارض مع المواقف والبيانات الرسمية الصادرة عن الإدارات الأمريكية السابقة. كما أن اتخاذ هذا القرار جاء بغية حصد المزيد من الدعم من الجماعات الدينية الأصولية، وخاصة المسيحيين الإنجيليين أو «المسيحيين الصهاينة».[١]

دأب المسؤولون في إدارة ترامب بدفع أجندتهم المتطرفة من خلال إستغلال الدين لتحقيق أغراض سياسية. فمن المعروف بأن نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس مسيحي إنجيلي، بينما يتكون فريق الرئيس ترامب في الشرق الأوسط من مجموعة من الصهاينة المتدينين المتشددين من ضمنهم السفير ديفيد فريدمان، والمبعوث جيسون جرينبلات. ويعتبر تصريح فريدمان فيما يتعلق بقرار الولايات المتحدة الأمريكية الإعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل خير مثال على إستخدام الرواية الدينية لتحقيق مكاسب وأغراض سياسية:

« الآن، لم تجعل الولايات المتحدة من القدس عاصمة لإسرائيل. لقد تم ذلك من قبل الملك داوود منذ حوالي ٣٠٠٠ عام وبتوجيه من الله (...) ولكن ، أتمنى أن تتفقوا معي بأنه شعور جيد للغاية أنه لأول مرة منذ ٢٠٠٠ عام على خراب البيت الثاني - تدمير الهيكل الثاني - قامت أقوى أمة على وجه الأرض وأكثرها أخلاقاً بهذا الإعتراف الهام بصدارة القدس لدولة إسرائيل والشعب اليهودي.»[٢]

تهدف ورقة الحقائق هذه إلى تسليط الضوء على إستغلال الدين في تبرير الخروقات الممنهجة لحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف، وجعلها واقعاً طبيعياً.

وعد بلفور واللوبي المسيحي الصهيوني الدولي

تأثر اللورد آرثر جيمس بلفور، صاحب وعد بلفور المشؤوم، بفكر المسيحية الصهيونية القائم على تسهيل «عودة» اليهود إلى فلسطين. بينما كان اليهود البريطانيون بشكل عام غير متقبلين لفكرة دولة يهودية في فلسطين، حيث أعرب العضو اليهودي الوحيد في الحكومة البريطانية السير إدوين مونتاجو عن رفضه لوعد بلفور. أما بلفور فقد وُصف بأنه «نموذج للصهيوني غير اليهودي»[٣]. والذي قال خلال دفاعه عن القرار البريطاني القاضي بحرمان شعب فلسطين من حقه في تقرير المصير مايلي:

«الصهيونية، سواء كانت على خطأ أم على صواب، جيدة أم سيئة، تعود في جذورها إلى تقاليد موغلة في القدم، وتمثل إحتياجات الحاضر وآمال المستقبل لما هو أعمق وأهم بكثير من رغبات وميول ٧٠٠,٠٠٠ عربي يقطنون الآن تلك الأرض العتيقة.»[٤]

١ ديانا باتلر، «للعديد من الانجيليين ، القدس تتعلق بالنبوءة» ١٤ ايار ٢٠١٨.

٢ جيروسالم بوست « فريدمان : ترامب يذبح الأبقار المقدسة» ٥ ايلول ٢٠١٨.

٣ شريف ، ريجينا « المسيحيون من أجل صهيون ١٦٠٠-١٩١٩» مجلة الدراسات الفلسطينية ، مجلد ٥ ، عدد ٤/ ٣ (ربيع- صيف ١٩٧٦)، ص ١٣٥

٤ مصالحة ، نور (٢٠٠٧) « التوراة والصهيونية» . كتب زيد : نيويورك ص ١٠٠

وفي حين لا يمكن الإدّعاء بأن وعد بلفور ارتكز على معتقداته الدينية فحسب، فقد شهد العديد من الكتّاب بأن بلفور تأثر بشكل كبير بالعامل الديني مما جعله يلتزم شخصياً بالمشروع الصهيوني، كالعديد من المسؤولين البريطانيين بما في ذلك رئيس الوزراء البريطاني آنذاك، لويد جورج. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، قام المسيحيون الصهاينة بالضغط بشكل مكثف لدعم وعد بلفور ليس فقط في المملكة المتحدة، بل في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً.[٥]

لقد لعب عنصر الدعم المسيحي للصهيونية دوراً هاماً في تعزيز التواصل لفرض قيام دولة يهودية في فلسطين. بحلول حزيران عام ١٩٤٥، قامت لجان عدة مكونة من كبار الشخصيات اليهودية والمسيحية بقيادة الترويج للرواية المسيحية الصهيونية الآخذة بالانتشار، والتي يؤيدها أنصار بارزون في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك وكولومبيا وكوستاريكا وبوليفيا وكوبا وتشيلي.[٦]

يعتقد المسيحيون الصهاينة بأن الله «سيبارك الأمم التي تبارك إسرائيل ويلعن تلك الأمم التي تلعنها»[٧] في قراءتهم الحرفية للآية التي خاطب بها الله ابراهيم في سفر التكوين (١٢:٣) «وأُبارك مبارِيك، وألعن لاعنيك، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض».

تعارض الكنائس التقليدية هذه الرواية، ولا تؤيد القراءة الحرفية للكتب المقدسة. فعلى سبيل المثال، أعلن الكرسي الرسولي عام ١٩٢٢ عن معارضته لوعد بلفور، حيث جاء في تصريح صادر عن وزير خارجية دولة الفاتيكان آنذاك، الكاردينال بيترو جاسباري، بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٢٢ ما يلي:

«لا يعارض الكرسي الرسولي مبدأ وجوب تمتع اليهود بالحقوق المدنية ذاتها التي تتمتع بها الجنسيات الأخرى والطوائف الدينية في فلسطين ، ولكن لا يمكن أن نقبل: أن يُمنح اليهود مكانة متميزة ومهيمنة على حساب ما تتمتع به جنسيات وطوئف دينية أخرى؛ بما يجعل حقوق الطائفة المسيحية غير مضمونة بما فيه الكفاية.» [٨]

علاوة على ذلك، لم تمثل الرواية المسيحية الصهيونية موقف غالبية الكنائس البروتستانتية، حيث انعكس ذلك في موقف أسقف الكنيسة الأنجليكانية في القدس، القس ريني ماكلنس، وقت صدور وعد بلفور، والذي عارض الصهيونية ودعم التطلعات الوطنية لأبرشيته الفلسطينية.[٩]

دراسة حالة: المسيحيون الصهاينة ينظمون مسيرة سنوية في القدس

في كل عام، يحتشد الآلاف من المسيحيين الصهاينة القادمين من جميع أنحاء العالم في القدس ليعربوا عن تأييدهم لاسرائيل. ففي ٢٧ أيلول الماضي لهذا العام، قدم العديد منهم من مختلف أنحاء العالم، من الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل ومن دول أخرى، للمشاركة في هذه المسيرة. إن الدافع الرئيسي وراء مشاركتهم في هذه المسيرة الداعمة لإسرائيل هو روايتهم الكارثية حول نهاية العالم المستمدة من المعتقد المسيحاني بأن الدعم غير المشروط لإسرائيل «سيُعجّل بعودة يسوع المسيح إلى الأرض».

وعلى حد قول القس إليانا كابيرال التي شاركت في المسيرة «ندعم إسرائيل ونصلي من أجلها، لأنه إذا كانت إسرائيل قوية فإنها ستساعد في عودة يسوع للمرة الثانية. نحن قادمون لأننا نريد أن يعود الرب، يسوع، إلى الشعب، إلى إسرائيل»[١٠]

وهكذا، فان المنطق الذي يقف وراء العقيدة المسيحية الصهيونية يكمن في أن دعمهم لإسرائيل سيسهل في تحقيق نبوءات العهد القديم.

٥ أريل ، يعكوف (٢٠٠٦) ، ص ٧٩

٦ جليك ـ ادوارد « الجهود الصهيونية والاسرائيلية للتأثير على دول أمريكا اللاتينية: الاقناع الدبلوماسي نموذجا» ، مجلة السياسات الغربية الربعية، مجلد ٩ ، عدد ٢ (حزيران ١٩٥٦) ، ص ٣٣٠

٧ روبين، ووكر «الانسحاب من الصفقة الايرانية مؤشر على ظهور لاعب جديد ذو نفوذ في واشنطن : المسيحيون الصهاينة» ، واشنطن بوست ، ٨ أيار ٢٠١٨.

٨ س . فيراري « الفاتيكان، القضية الفلسطينية وتدويل القدس ١٩١٨- ١٩٤٨» في مجلة ريفيزتا دي ستودي بوليتيكي انترناسيونال مجلد ٦٠ ، عدد٤ (٢٤٠) (تشرين أول – كانون أول ١٩٩٣) ، ص ٥٥٤

٩ جولدمان ، شالوم « القس هيربرت دانبي (١٨٨٩- ١٩٥٣): عالم عبراني ،صهيوني ، مبشر مسيحي « ، اليهودية الحديثة ، مجلد ٢٧ ، عدد ٢ (ايار ٢٠٠٧) ، ص ٢١٩

١٠ جيروسالم بوست ، ٧٠٠٠ « المسيحيون الانجيليون يسيرون في العاصمة في مسيرة سنوية في القدس» ، ٢٧ ايلول ٢٠١٨.

وبالرغم من أن العديد من اليهود المتدينين يعارضون النهج المسيحاني لمثل هذه الجماعات، يرى العديد من اليهود الصهاينة اليمينيين في ذلك فرصة لتحقيق مصالحهم. في الواقع، فإن كلاً من اليمين الإسرائيلي والمسيحيين الصهاينة يتشاركون ذات المصلحة في معارضة أية تسوية سياسية ترغم إسرائيل على إحترام إلتزاماتها بموجب القانون الدولي والإنسحاب من الأراضي التي إحتلتها وبخاصة القدس الشرقية.

إن دعم المنظمات المسيحية الصهيونية لإسرائيل، سواء بالوسائل المالية أو السياسية، قد تُرجم فعلياً على أرض الواقع من خلال دعمها للإستعمار الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، والتنكر الممنهج للحقوق السياسية والإنسانية للشعب الفلسطيني. فمن أهم المنظمات الداعمة مالياً لمشروع الإستيطان الإسرائيلي هي منظمات أمريكية مسجلة قامت بنقل مئات الملايين من الدولارات الأمريكية مع تقديم إعفاءات ضريبية.[١١] وتشمل هذه المنظمات على سبيل المثال كل من الأصدقاء المسيحيين للجماعات الإسرائيلية (CFOIC)، وصندوق الخليل، والسفارة المسيحية الدولية في القدس (ICEJ)، إضافة إلى المسيحيين المتحدين من أجل إسرائيل (CUFI).

تعمل جميع هذه المنظمات على تقديم الدعم الإقتصادي لمشروع الإستيطان الإسرائيلي غير القانوني في الأراضي الفلسطينية المسلوبة. فعلى سبيل المثال، يعتبر «جلب اليهود إلى إسرائيل» ودعم السيادة اليهودية على القدس إضافة إلى نزع الشرعية عن الحقوق الفلسطينية[١٢] من ضمن أهم الأهداف الرئيسية لمنظمة السفارة المسيحية الدولية في القدس، عدا عن تقديم الدعم المالي بشكل متواصل إلى المشاريع الإستيطانية التوسعية غير القانونية في فلسطين المحتلة مثل مستوطنة «أرئيل».[١٣] من جهة أخرى، زعمت منظمة المسيحيون المتحدون من أجل اسرائيل بأنها عملت بجد للتأثير على الرئيس دونالد ترامب للإعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وكما ورد في موقعها الإلكتروني فإن «منظمة المسيحيين المتحدين من أجل اسرائيل عملت مع الرئيس دونالد ترامب لمساعدته في الوفاء بتعهده الذي قطعه أثناء حملته الانتخابية، وهو نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل إلى القدس، والإعتراف بالمدينة المقدسة كعاصمة لإسرائيل.»[١٤]

لا شك بأن الدعم الإقتصادي الذي قدمته الجمعيات الخيرية المسيحية قد ساهم في تشجيع طرد وتشريد الشعب الفلسطيني من منازله وأراضيه. وخير مثال على ذلك المشروع الإستيطاني المتواصل في حي سلوان الذي تنفذه «جمعية إلعاد» الإستيطانية.

دور الأصولية المسيحية واليهودية في دعم الاستعمار الإسرائيلي

إن استغلال الدين لغرض دعم الإستعمار ليس ظاهرة حصرية على الصهيونية فحسب، بل اشتملت مشاريع إستعمارية مختلفة عدة على مبررات لاهوتية في أمريكا وأفريقيا وخاصة في جنوب أفريقيا خلال فترة الفصل العنصري. وفي حالة إسرائيل، فإنه يمكن تلخيص الحجج الصهيونية التي تستند إلى التوراة لتبرير عملية طرد وتشريد الفلسطينيين بما يلي[١٥]:

١. أن اليهود هم شعب الله المختار.

٢. يشمل «العهد» (ذو الأصل الإلهي) على ملكية فلسطين كموروث للشعب اليهودي و«أحفادهم إلى الأبد» في أرض الميعاد.

٣. إن «إحتلال هذه الأرض وإستيطانها واجب يقع على عاتق جميع اليهود لإقامة دولة لليهود».

إن هذا التوصيف الديني للإستعمار الصهيوني لفلسطين هو بلا شك معتقد الجماعات الإنجيلية المتشددة، والتي غالباً ما تُعرف بإسم «المسيحيين الصهاينة»، حيث يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر. وهي مجموعات من الكنائس الإنجيلية

١١ اصدار دائرة شؤون المفاوضات عن دعم الجمعيات الخيرية في دعم الاستيطان ٢٠١٨

١٢ موقع السفارة المسيحية الدولية في القدس « اسرائيل ، القيادة الفلسطينية تتنازعان حول اقامة دولة فلسطينية» ١٩ آب ٢٠١١

١٣ انظر مجلة السياسات والدراسات الدولية ، مجلد ٩ ، صيف ٢٠١٣ ، ص ٣١٤

١٤ موقع المسيحيون المتحدون من أجل اسرائيل

١٥ حداد ، ح.س. « الحجج التوراتية للاستعمار الصهيوني» ، في مجلة الدراسات الفلسطينية ، مجلد ٣ ، عدد ٤ (صيف ١٩٧٤) ، ص ٩٨

الـتي تقـرأ الكتـاب المقـدس بطريقـة حرفيـة، فهـم يـرون في يهـود اليـوم اسـتمراراً «لأبنـاء إسرائيـل في التـوراة.» ولذلـك يُنظـر إلى «عـودة اليهـود» إلى فلسـطين عـلى أنهـا «الخطـوة الأولى في التقـدم نحـو الوصـول للمسـيحانية.»[١٦] وفي هـذا السـياق، فـإن «عـودة جميـع اليهـود» الى فلسـطين مـن شـأنها أن تحقـق «نهايـة العالـم» (المعروفـة باسـم «معركـة مجـدو»).

في عام ٢٠٠٦ ، أصدر رؤساء الكنائس المحلية في القدس بياناً رداً على هذه الرواية جاء فيه:

«نرفـض تعاليـم المسـيحية الصهيونيـة الـتي تسّـهل وتدعـم هـذه السياسـات الـتي تعـزز التميـز العـرقي والحـرب الدائمـة بـدلاً مـن نشـر إنجيـل المحبـة في العالـم، وقيـم الفـداء والمصالحـة الـتي علّمهـا يسـوع المسـيح. فبـدلاً مـن الحكـم عـلى العالـم بلعنـة معركـة مجـدو، ندعـو الجميـع لتحريـر أنفسـهم مـن الأيديولوجيـات العسـكرية والإحتلاليـة. وبـدلاً مـن ذلـك، فليسـيروا في طريـق شـفاء الشـعوب.»[١٧]

الإحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧: «العودة الى أرض الميعاد»

بعـد الإحتـلال الإسرائيـلي عـام ١٩٦٧، سـهّلت حكومـة الإحتـلال الإسرائيليـة عمـل مجموعـة مـن اليهـود الأصوليـين المعروفـين باسـم «جـوش إيمونيـم» (كتلـة المؤمنـين باللغـة العبريـة) الذيـن سـعوا إلى الإسـتيلاء عـلى الأراضي الفلسـطينية لتوطـين اليهـود في كل مـكان فيهـا يتميـز «بأهميـة دينيـة». وفي حـين منحـت هـذه المجموعـة الأصوليـة دلالـة توراتيـة للمـشروع الاسـتيطاني[١٨]، قامـت حكومـة الإحتـلال بقيـادة حـزب العمـل بتقديـم الدعـم السـياسي، ولا سـيما مـن قبـل وزيـر الدفـاع شـمعون بيريـس ونائـب رئيـس الـوزراء ييغـال ألـون. اعتقـد قـادة «غـوش إيمونيـم» آنـذاك بأنـه لـن تُقـام مسـتوطنات دون دعمهـم.[١٩] وبعـد إحتـلال ١٩٦٧، اسـتغلت الحكومـة الإسرائيليـة الحجـج الـتي تحظـى بشـعبية كبـيرة بـين أوسـاط المسـيحيين الصهاينـة والذيـن يؤمنـون بـأن إنتصـار إسرائيـل العسـكري وأجندتهـا الاسـتيطانية التوسـعية هـي بمثابـة تحقيـق للنبـوءات. في هـذا السـياق، فـإن اسـتخدام إسرائيـل للمصطلحـات الدينيـة مثـل «أرض الميعـاد» يـرضي كلاً مـن المسـيحيين الصهاينـة واليهـود الأصوليـين.

تقـدم إحـدى أهـم اقتباسـات الكتـاب المقـدس الـتي تُقـرأ حرفيـاً مـن قبـل هـذه الجماعـات الإحتـلال الإسرائيـلي عـلى أنـه تفويـض إلهـي: «كُلَّ مَوْضِـعٍ تَدُوسُـهُ بُطُـونُ أَقْدَامِكُـمْ لَكُـمْ أَعْطَيْتُـهُ، كَمَـا كَلَّمْـتُ مُـوسَى» (يشـوع ١:٣، ١٤:٩)[٢٠]

لقـد اسـتغل المسـؤولون الرسـميون الإسرائيليـون هـذه العنـاصر لخدمـة مشروعهـم الإسـتعماري حيـث أشـاروا في تصريحـات عـدّة إلى أن «أرض اسرائيـل» «غـير قابلـة للتجزئـة». وقـد جـاء عـلى لسـان الجـنرال الإسرائيـلي الشـهير رافائيـل إيتـان بأنـه «لا يوجـد فـرق بـين يافـا ونابلـس.»[٢١]

وبينمـا يسـعى المسـيحيون الصهاينـة لتمهيـد الطريـق «لعـودة المسـيح»، فـإن المـشروع الإسـتعماري الإسرائيـلي المدعـوم مـن الصهيونيـة المسـيحية يتعـارض بشـكل واضـح مـع حقـوق الشـعب الفلسـطيني غـير القابلـة للتـصرف وعـلى رأسـها حقـه في إقامـة دولتـه المسـتقلة وذات السـيادة.

لقـد بـرز ذلـك بوضـوح في تصريـح مناحيـم بيغـن، مجـرم الحـرب الإسرائيـلي، وأول رئيـس وزراء إسرائيـلي بـين الأعـوام (١٩٧٧ - ١٩٨٣) يقـوم بربـط الحـركات المسـيحية الصهيونيـة بالسياسـات الرسـمية لدولـة إسرائيـل: «أقـول لكـم، إذا كان المسـيحيون الأصوليـون يدعموننـا في الكونجـرس اليـوم، فإنـي سـأدعمهم عندمـا يـأتي المسـيح غـداً».[٢٢]

---

١٦ اريل ، يعكوف « تحالف غير متوقع : المسيحية الصهيونية وأهميتها التاريخية» ، في مجلة اليهودية الحديثة ، مجلد ٢٦ ، عدد ١ (شباط ٢٠٠٦) ، ص ٧٥

١٧ صدقة ، « اعلان القدس بالنسبة للمسيحية الصهيونية» ، بيان صادر عن بطريرك القدس ورؤساء الكنائس المحلية

١٨ نيومان ، ديفيد « جوش ايمونيم والاستيطان في الضفة الغربية» في مجلة المجتمع البريطاني للدراسات السژق أوسطية ، مجلد ٨ ، عدد ١ (١٩٨١) ، ص ٣٧

١٩ ويل ، دونالد « الأيديولودية الصهيونية للاستيطان وانعكاساتها على الشعب الفلسطيني « في مجلة الدراسات الفلسطينية ، مجل ١١ ، عدد ٣ (ربيع ١٩٨٢) ، ص ٣٩

٢٠ حداد ، ح.س (١٩٧٤)، ص ١٠٧

٢١ ويل ، دونالد (١٩٨٢) ، ص ٤٨

٢٢ بينيس ، فيليس وخالد منصور « مجدو الرب ومرروا الذخيرة!: الطبيعة المتغيرة لمؤيدي الولايات المتحدة في اسرائيل» هى تقرير السژق الأوسط ، عدد ٢٠٨ ، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط : تقييم نقدي (خريف ١٩٩٨)، ص ٤٣

لقد دشّن حزب العمل الإسرائيلي، بالتعاون مع اليهود الأصوليين من كتلة «غوش إيمونيم»، المشروع الإستيطاني الإستعماري، وتم تعزيزه وتكثيفه مع مرور الوقت من قبل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بدعم مطلق من قبل القادة الإسرائيليين مثل: بيغن، وإسحق شامير، وآرييل شارون.

تستغل حكومة الإحتلال الحالية المتطرفة العلاقات السائدة بين المتدينين المتطرفين لدفع أجندتها الاستعمارية قدماً. فبالإضافة إلى تصريحات قادتها المتكررة حول القدس بأنها «العاصمة الأبدية وغير القابلة للتقسيم للشعب اليهودي»، عارضت هذه الحكومة أية قرارات، بما في ذلك قرار منظمة اليونسكو الإعتراف بالطابع الفلسطيني لمدينتي بيت لحم والخليل نظراً «لتراثها اليهودي».

وقد ذهب نتنياهو إلى حد الإعلان بمايلي: «أقول لكل من يريد اقتلاعنا من الحرم الإبراهيمي: باستثناء سنوات قليلة من القرن الماضي، فإننا هناك منذ ٤٠٠٠ عام تقريباً. وسنبقى هناك إلى الأبد. لن تتمكنوا من هزيمتنا.»[٢٣]

إن الربط الوثيق الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية بين العقيدة اليهودية والإستيطان الإستعماري التوسعي يقوض فرص تحقيق السلام، ويهدف بشكل واضح إلى كسب التأييد لإحتلالها العسكري المستمر لفلسطين. يظهر هذا الربط بشكل واضح في التصريحات التي يدلي بها كبار المسؤولين في حكومة الإحتلال الحالية.

الإستيطان الإسرائيلي في البلدة القديمة في الخليل (المعروفة بمنطقة H2)

تعمل حكومة الإحتلال على تنفيذ مخططها في جعل إحتلال فلسطين واقعاً لا رجعة فيه عن طريق تحويل حياة الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة إلى حياة مؤلمة وبائسة بحيث تهدف إجراءاتها القسرية وغير القانونية إلى منح السيطرة الحصرية للمستوطنين اليهود في الضفة الغربية المحتلة، بما في ذلك القدس الشرقية. على سبيل المثال، فإن وجود قرابة ٤٠،٠٠٠ فلسطيني يعيشون في البلدة القديمة المحتلة لمدينة الخليل (H2)، ويشكلون ٢٠٪ من السكان، هو دليل دامغ على هذه السياسات والإجراءات الإسرائيلية غير القانونية. يعاني سكان البلدة القديمة معاناة شديدة جراء إفلات إسرائيل من العقاب، حيث يسيطر عدد كبير من قوات الإحتلال بشكل كامل على كافة مناحي حياتهم، تحت ذريعة توفير الأمن والحماية لقرابة ٥٠٠-٨٠٠ مستوطن[٢٤] يعيشون في قلب المدينة القديمة.

إن السياسات والممارسات غير القانونية، سواء تلك التي تنفذها قوات الإحتلال الإسرائيلية أو المستوطنون المسلحون، تهدف إلى تهجير الشعب الفلسطيني قسراً، إذ أن الدعم المطلق الذي تمنحه سلطات الإحتلال للمستوطنين يشجعهم على سرقة ممتلكات الفلسطينيين وممارسة العنف وشن الهجمات ضدهم. لقد أدت تلك السياسات إلى إغلاق وعزل واحد من أكثر الأحياء إزدهاراً في الخليل وتحويله إلى «منطقة أشباح».[٢٥]

في تشرين ثاني ٢٠١٨، أعلن جيش الإحتلال الإسرائيلي عن خطته لبناء مستوطنة غير شرعية جديدة في منطقة H2 حيث كان يتواجد سوق لبيع الخضروات وتجارة الجملة. يقع سوق الخضراوات في شارع الشهداء [٢٦] المؤدي إلى الحرم الابراهيمي في المنطقة التي كانت ذات يوم آهلة بالسكان ومزدحمة بالمارة وتعج بالحياة.

إن مخطط إسرائيل، السلطة القائمة بالإحتلال، لبناء مستوطنة جديدة غير قانونية في قلب مدينة فلسطينية مأهولة بالسكان ليس بسياسة جديدة، بل هو جزء لا يتجزأ من أيديولوجية الإستيطان الإستعمارية، كما أن قيام ليبرمان بمنح حقوق حصرية وتمييزية لصالح الشعب اليهودي هو تذكير بالجريمة المروعة التي أُرتكبت بتاريخ ٢٥ شباط عام ١٩٩٤. في ذلك اليوم، دخل المستوطن باروخ غولدشتاين إلى الحرم الإبراهيمي وقتل ٢٩ فلسطينياً من المصلين رجالاً ونساءً وأطفالاً، وجرح العديد منهم. كان غولدشتاين طبيباً أمريكياً متديناً من أنصار الحاخام مئير كهانا مؤسس رابطة الدفاع اليهودية المتطرفة(JDL) وحزب كاخ. تُبين تلك الجريمة البشعة الدور الكبير الذي تلعبه الأصولية اليهودية والتطرف من حيث تبرير

٢٣ فورورد : « نتنياهو : ستبقى اسرائيل في الخليل الى الأبد» ، ٣٠ كانون أول ٢٠١٥

٢٤ موقع بعثة التواجد الدولي المؤقت في الخليل

٢٥ أوتشا « التأثير الانساني للمستوطنات الاسرائيلية في مدينة الخليل» شباط ٢٠١٨

٢٦ مجلة +٩٧٢ « الآلاف يحتشدون في الخليل : افتحوا شارع الشهداء» ، ٢٤ شباط ٢٠١٧

إرتكاب المذابح من خلال إستخدام المنطق المسيحاني.

في عام ٢٠١٧، أعلن جيش الإحتلال الإسرائيلي بموجب أمر عسكري عن إنشاء مجلس بلدي جديد للمستوطنين الإسرائيليين غير القانونيين في قلب البلدة القديمة في مدينة الخليل (H2). تعتبر هذه الخطوة استمراراً لجهود إسرائيل الرامية الى تطبيع احتلالها وإضفاء الشرعية على وجودها غير القانوني في المدينة، وسيعمل هذا الأمر العسكري على ترسيخ نظام الفصل العنصري الاسرائيلي عن طريق إنشاء نظام رسمي مزدوج لخدمة المستوطنين بشكل حصري وإرتكاب المزيد من الإنتهاكات لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة كالحق في حرية الحركة والتنقل. إن هذا الإجراء يعدّ إستكمالاً للمخطط الإستيطاني الإستعماري في قلب البلدة القديمة في الخليل من أعمال حفريات وبناء طرق خاصة للمستوطنين وبناء جدار داخل البلدة القديمة والتي تضر بمجملها بتراثها التاريخي للبلدة القديمة.

إدارة ترامب: «السير على خطى الملك داوود»

لقد استعان الرئيس ترامب بعدد من المتدينين الأصوليين: اليهود والمسيحيون الصهاينة لصنع القرار الخاص بالشرق الأوسط مثل: ديفيد فريدمان وجايسون جرينبلات ونائب الرئيس الأمريكي مايك بنس المقربون للغاية من أبرز الأوساط الأصولية الدينية المتطرفة والمؤيدة لاسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك المسيحيين المتحدين من أجل إسرائيل(CUFI) الذين يزعمون بأنهم أكبر لوبي مؤيد لإسرائيل في الولايات المتحدة. وقد قال مايك بنس في خطابه أمام المسيحيين المتحدين من أجل إسرائيل:

«أنتم تعلمون بأنه منذ ١١ عاماً فقط، كان لدى صديقي القس جون هاجي الشجاعة والرؤية لتوحيد الأمريكيين المسيحيين للإلتفاف حول تلك الكلمات القديمة من أجل صهيون، لن أبقى صامتاً. وأشكرك أيها القس جون هاجي على قيادتك بالنيابة عن هذه الأمة ودولة إسرائيل اليهودية.»[٢٧]

وقد وضّح بنس في جلسة خاصة أمام الكنيست الإسرائيلي أن قرار الإعتراف الأمريكي غير القانوني بالقدس عاصمة لإسرائيل هو استمرار لوعد إلهي:

«تعود صلة الشعب اليهودي الوثيقة بهذه المدينة المقدسة إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام. كانت هنا، في القدس، على جبل موريا، قدم إبراهيم ابنه، اسحق، فبإيمانه بالله حسب له ذلك براً. هنا في القدس، أعلن الملك داوود المدينة عاصمة لمملكة إسرائيل. ومنذ ولادتها من جديد، وسمّت دولة اسرائيل الحديثة المدينة مقراً لحكومتها. القدس هي عاصمة إسرائيل.»[٢٨]

في أيار عام ٢٠١٨، أثناء إفتتاح السفارة الأمريكية غير القانونية في القدس المحتلة، قال أحد قادة المسيحيين الصهاينة الأكثر شهرة في الولايات المتحدة، جون هاجي: «لقد كانت القدس وما زالت مركز الديانة اليهودية منذ مجيء الملك داوود الى المدينة مع تابوت العهد منذ أكثر من ٣٠٠٠ عام. إنها عاصمة الدولة اليهودية، وأنا ممتن للرئيس لتغيير السياسة الأمريكية لتعكس أخيراً هذا الواقع». [٢٩]

لقد تصاعد دور الأصولية الدينية والالتزام الأيديولوجي بشكل كبير خلال إدارة ترامب الحالية ناهيك عن تعاظم التنكر الإسرائيلي للحقوق الفلسطينية المشروعة لدرجة قيام السفير الأمريكي لإسرائيل فريدمان بنفي وجود الإحتلال الإسرائيلي، وقيام جيسون جرينبلات بالإشارة إلى المستوطنات الإسرائيلية الإستعمارية «كرموز للتعايش». وقد شارك أهم أعضاء فريق ترامب في الشرق الوسط (كوشنير وجرينبلات وفريدمان) بشكل شخصي في دعم المشروع الإستعماري الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، سواء عن طريق تقديم التمويل المالي أو بصفتهم مستوطنين مثل جيسون جرينبلات الذي يعتبر مستوطناً بحد ذاته.[٣٠]

في هذا السياق، إن مصادقة الكنيست الإسرائيلي على قانون «إسرائيل الدولة القومية للشعب اليهودي»، والذي يكرّس

٢٧ مايك بينس « ما يقوله الناس» ، في موقع المسيحيون المتحدون من أجل اسرائيل

٢٨ ملاحظات بنس في البرلمان الاسرائيلي بتاريخ ٢٢ كانون ثاني ٢٠١٨. .

٢٩ موقع المسيحيون المتحدون من أجل اسرائيل « المسيحيون المتحدون من أجل اسرائيل يرحبون بسياسة ترامب حول القدس»، ٦ كانون أول ٢٠١٧

٣٠ هآرتس « كيف اصبح مستوطن اورثوذكسي سابق مستشار دونالد ترامب لشؤون اسرائيل؟» ١٨ نيسان ٢٠١٦.

الممارسات التمييزية العنصرية القائمة على أساس ديني، لم يكن ليمرّ من قبل حكومة الإحتلال دون الدعم السياسي والإيديولوجي الذي تقدمه إدارة ترامب. لا يكتفي هذا القانون العنصري بمنح الشعب اليهودي حقاً حصرياً في تقرير مصيره في جميع الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل والتنكر لأي حق في القدس لغير اليهود، بل يعمل أيضاً على تكريس الإحتلال عن طريق تشجيع بناء المستوطنات الإستعمارية غير القانونية.

يسعى هذا القانون في الواقع إلى شرعنة صريحة للتمييز المؤسسي لمن هم من غير اليهود. هذا جزء من الرواية الدينية الأصولية التي عادة ما يستخدمها المسؤولون الرسميون الاسرائيليون، حيث صرح رئيس وزراء الإحتلال بنيامين نتنياهو أثناء احتفال نُظّم بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على الإحتلال الإسرائيلي غير القانوني للقدس، حضره السفير الأمريكي لأول مرة، بما يلي:

« مر خمسون عاماً على النصر العظيم الذي جعل أولئك الذين استهانوا بنا أضحوكة. وقبل نحو ألفين وخمسمائة عام، قال سنبلط الحوروني، عدو اليهودية خلال فترة العودة إلى صهيون، ساخراً:

«هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محترقة؟» على مرّ الأجيال وفي جيلنا هذا، أجبنا على هذا السؤال بشكل حاسم: نعم، سنحيي الحجارة. لقد بنينا الهيكل من أكوام التراب، وقد بنى نحميا جدراننا من هذه الأحجار المحترقة. كان شوقنا وتوقنا عاملاً على لإعادة إحياء صهيون. حتى في أكثر اللحظات صعوبة، عاهدنا أنفسنا أن نعود الى الوطن، وهنا نقف بفخر ومجد، في القدس- فخرنا وفرحنا، وعظمة شعبنا، عاصمتنا الأبدية والموحدة دوماً والى الأبد.»[٣١]

وخلال البيان الإفتتاحي لحفل تدشين السفارة الأمريكية غير القانونية في القدس المحتلة، عبّر مبعوثو ترامب الدينيين القس روبرت جيفيرس والقس جون هاجي بشكل مستهجن عن الرواية المسيحانية في خطابهم أمام الحضور. فقد جاء في خطاب هاجي «نشكرك يا رب على شجاعة الرئيس دونالد ترامب للإقرار بهذه الحقيقة أمام العالم.»[٣٢]

الخلاصة

لقد برزت ظاهرة إستغلال الدين لتحقيق أغراض سياسية بشكل واضح في السنوات الأخيرة، لكنها تصاعدت بشكل مثير للقلق خلال إدارة ترامب الحالية، وهو ما دفع تلك الإدارة للإعتراف غير القانوني بالقدس عاصمة لإسرائيل. كما استخدم رئيسا غواتيمالا والباراغواي حججاً مماثلة عند الإعلان عن النقل غير القانوني لسفاراتيهما إلى القدس.[٣٣] مما لا شك فيه بأن استخدام تلك الرواية الدينية يحول الصراع السياسي إلى حرب دينية.

وفي الوقت الذي أصدرت فيه كنائس عدّة بيانات تدعو فيها إسرائيل إلى عدم إستخدام الدين من أجل تبرير جرائمها وإنتهاكاتها الممنهجة، تواصل مجموعات من الأصوليين المسيحيين تشجيع إسرائيل على إرتكاب المزيد من الجرائم على أساس «التفويض الإلهي».

تنص وثيقة كايروس فلسطين، والتي أقرها لاهوتيون فلسطينيون من مختلف الكنائس، على ما يلي: «أي إستخدام للكتاب المقدس لتبرير أو تأييد خيارات ومواقف سياسية تستند إلى ظلم يفرضه إنسان على إنسان أو شعب على شعب آخر، فهو يحوّل الدين إلى إيديولوجية بشرية ويجرّد كلمة الله من قداستها وعالميتها وحقيقتها».[٣٤]

يتوجب على القادة الدينيين والسياسيين في جميع أنحاء العالم إدانة هذا الاستخدام السافر للدين، حيث ستواصل فلسطين شجب واستنكار استخدام الدين والكتب المقدسة لتبرير الجرائم والخروقات، وستستمر بالدعوة إلى تطبيق القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة باعتبارها السبيل الوحيد للمضي نحو تحقيق سلام عادل ودائم بين الإسرائيليين والشعب الفلسطيني وإنشاد السلام في المنطقة برمتها.

٣١ موقع مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي « ملاحظات رئيس الوزراء نتنياهو خلال احتفال مرور ٥٠ عاما على توحيد القدس» ، ٢١ ايار ٢٠١٧.

٣٢ ام اس ان بي سي « القس المثير للجدل لترامب» ١٤ ايار ٢٠١٨

٣٣ قامت البراجوي باعادة سفارتها الى تل ابيب بعد تغيير الحكومة

٣٤ وثيقة كايروس « وقفة حق : كلمة ايمان ورجاء ومحبة من قلب المعاناة الفلسطينية»